جامعة المصطفى العالمية
Al-Mustafa International University
مجمع القرآن والحديث

الدراسات القرآنية المعاصرة
السنة ١، العدد ١، الخريف (ربيع)، ١٤٤٤
تاريخ التسلم: ١٤٤٣/١٠/٠٨؛ تاريخ القبول: ١٤٤٤/٠١/١٨

مرجعية القرآن العلمية من وجهة نظر الباحثين مع التركيز على رؤى الإمام الخامنئي القرآنية

محمدعلي رضائي أصفهاني[١]

الخلاصة

لقد اهتمّ العلماء المسلمون في القرن الأخير بمرجعية القرآن العلمية التي نجد جذورها في القرآن الكريم وأخبار السنّة المطهّرة. كما لايخفى أنّ بعض الباحثين القدامى أمثال: الغزالي والمولى صدر المتألّهين والفيض الكاشاني قد أوضحوا بعض معانيها، وفي المئة سنة الأخيرة تمّ التنظير لها والتأكيد عليها من قبل كثير من العلماء أمثال: السيّد جمال الدين الأسدآبادي، والسيّد محمدحسين الطباطبائي، والسيّد محمدحسين فضل الله، والسيّد الإمام الخميني، والسيّد الإمام الخامنئي والشيخ جوادي آملي.

وفي هذه الدراسة تمّ بحث خمسة عشر مفهومًا واستخدامًا لمرجعية القرآن العلمية التي جاء أكثرها على لسان العلماء التي مرّت أسماءهم. ومن بين هؤلاء العلماء فسّر الإمام الخامنئي مرجعية القرآن العلمية بمعنى الرجوع إلى القرآن وجعله حاكمًا في مجريات الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية وسائر شؤون الحياة، كما بيّن مستخرجات أخرى لهذا المصطلح.

والمنهج المتبّع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي مع نقد ودراسة بعض الآراء في هذا المضمار.

الكلمات المفتاحية: القرآن، مرجعية القرآن، المرجعية العلمية، آراء الباحثين، الإمام الخامنئي.

١. قسم القرآن و العلوم ، مجمع القرآن و الحديث، جامعه المصطفى العالميه، قم، ايران، rezaee.quran@gmail.com

المقدّمة

مرجعية القرآن العلمية التي نجد أساسياتها وجذورها في القرآن والأخبار المرويّة، تضمّ في منهجية دراستها أمورًا مثل: الدراسات السابقة، والمفاهيم التصوّرية، والمبادئ، والأدلّة، والآراء، والمجالات، والانعكاسات، والنتائج والتحدّيات. وفي هذا البحث تتمّ دراسة بعضها وهي: الدراسات السابقة وخلفية الموضوع، والمفاهيم التصوّرية، والرؤى (النظريات).

الأوّل: خلفيات الموضوع (الدراسات السابقة)

أهمّ ما كُتب حول مرجعية القرآن العلمية هو التالي:

١- المرجعية القرآنية والمناهج التربوية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر، الدكتورة تربة بنت عماد، جامعة نواكشوط.

٢- تأصيل المرجعية القرآنية في الدرس الديني، الشيخ علي حسن. مركز ابن إدريس الحلّي للتنمية الفقهية والثقافية، النجف الأشرف، الملتقى الفكري الثاني، ٢٠١٤ م.

٣- مرجعية القرآن بين الماضي والحاضر، السيد على الأمين. جريدة السفير - صفحة قضايا وآراء - الاثنين ٧ كانون الأول ١٩٩٨ م.

٤- مرجعية القرآن في الاستنباط الفقهي عند العلامة فضل الله ، علي حسن غلوم. مركز ابن إدريس الحلّي للتنمية الفقهيّة والثقافية، النجف الأشرف، الملتقى الفكري الثاني، ٢٠١٤ م.

٥- في مفهومية المرجعية القرآنية، وليد سامي أبوالخير. جريدة عكاظ، العدد ١٩٠٨، ٢٠٠٦ م.

٦- مرجعية القرآن والسنّة، محمد العبيدان القطيفي. موقع الباحث : https://www.alobaidan.org/archives

٧- دراسات مؤتمر"العلامة فضل الله ومرجعية القرآن العلمية، مركز ابن إدريس الحلّي للتنمية الفقهية والثقافية، النجف الأشرف، الملتقى الفكري الثاني، ٢٠١٤ م.

٨- المرجعية الدينية وإسلام القرآن، السيد كمال الحيدري. مؤسسة الهدى، بيروت، ٢٠١٣ م.

٩- محورية القرآن الكريم في المعرفة الدينية، السيد كمال الحيدري. الشبكة العالمية، موقع الباحث.

١٠- فلسفة مرجعية القرآن، نجف علي ميرزايي. مركز الحضارة، بيروت، ٢٠١٥ م.

١١- منهجية القرآن المعرفية، محمد أبوالقاسم، حاج محمد. موقع مكتبة نور، ٢٠٠٨ م

١٢- مرجعيت علمى قرآن در سياست با تاكيد بر ديدگاه آيت الله جوادى آملى (بالفارسية) ، محمد

قاسمی، أطروحة دكتوراه في جامعة المصطفى العالمية.

١٣- مرجعیت علمی قرآن و گسترهی آن در اندیشهی علامهی فضل الله، (بالفارسية) فرج الله میر عرب، مجلهی مطالعات علوم قرآن.

١٤- کاربست نظریهی علم دینی آیت الله جوادی آملی در مرجعیت علمی قرآن برای علوم سیاسی، (بالفارسية) محمدعلی قاسمی و غلامرضا بهروزی لک، دوفصلنامهی حکمت اسراء، ش ٣٤، ١٣٩٨ ش.

١٥- مجموعهی آثار کنگرهی قرآن و علوم انسانی نرم افزار (بالفارسية) از جمله:

یک. مقالهی مرجعیت علمی قرآن، (بالفارسية) محمدعلی رضایی اصفهانی.

دو. مقالهی رابطهی مرجعیت علمی قرآن با جهانی و جاودانگی و جامعیت قرآن، (بالفارسية) محمدحسن طوسی،

سه. مقالهی مرجعیت علمی قرآن کریم در مطالعهی نظام سیاسی با الگوی علم دینی، (بالفارسية) آیت الله جوادی آملی، به قلم غلام رضا بهروز لک و محمدعلی قاسمی.

١٦- مهجوریت قرآن و راه های بازگشت به قرآن کریم از منظر امام خمینی (بالفارسية)، کبری طاهری نژاد.

١٧- دروس الإمام الخامنئي القرآنية في مشهد وطهران، بعضها قد طُبع كتابًا وبعضها هو موثق في موقع مكتب الإمام الخامنئي على الشبكة العالمية.

الثاني: المفاهيم التصورية

١- القرآن: هو كتاب المسلمين السماوي وفيه ١١٤ سورةً و٦٢٣٦ آيةً.

٢- الإمام الخامنئي: هو: السيد علي الخامنئي المولود في ١٣٥٨ هجرية في مدينة مشهد الإيرانية، وكان قبل انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية في ١٩٧٩ م من المجاهدين والمناضلين ضدّ نظام الشاه، وبعد انتصار الثورة الإسلامية تصدّى لعدّة مناصب، أهمّها: إمامة جمعة العاصمة طهران عام ١٩٨٠ م ورئاسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية لفترتين رباعيتينن وقيادة الثورة الإسلامية من سنة ١٤١٠ هـ وحتى الآن.

٣- العلم: يُقصد بالعلم هنا العلوم البشرية والتي تضمّ: العلوم التجريبية (الإنسانية والطبيعية) والعلوم العقلية والنقلية والشهودية، ولكنّ التركيز في هذه الدراسة هو على العلوم الإنسانية أمثال: علم التربية، وعلم السياسة، وعلم الاقتصاد، وعلم القانون (الحقوق)، وعلم الإدارة، وعلم الاجتماع وعلم النفس. وقد عرّف

بعض الباحثين العلوم الإنسانية بأنّها: العلوم التي تبحث عن أعمال الإنسان وتصرّفاته ونتائج تلك الأعمال وانعكاساتها، وبعبارة أخرى: إنّ العلوم الإنسانية تبحث عن الوقائع التي تحصل بمعرفة الإنسان وإرادته. [پارسانيا، حميد، جهان هاى اجتماعى، ٢٩ و ٣٠]

٤- المرجعية: المفردة مصدر انتزاعي من مادّة "رجع" بمعنى الرجوع [ابن منظور، لسان العرب، مادة رجع]، وتدلّ على عدّة معانٍ:

- الشخص صاحب الرؤية والمكانة الفكرية الذي يرجع إليه الناس للاستفادة من رأيه أو حلّ مشاكلهم، كمراجع التقليد الفقهي.

- المصادر التي يُرجع إليها لأخذ المعلومات المعرفية في موضوع معيّن، ومنها المصادر بمعنى الكتب المصدر.

- وتأتي كلمة المرجع بمعنى الكلمة التي يعود إليها الضمير. [انورى، بزرگ سخن، مادة رجع]

- وفي المعاجم الإنجليزية جاءت مفردة "authority" بمعنى التأثير والكاتب صاحب القيمة العلمية [فرهنگ اكسفورد، ترجمة اكبر ايران پناه، ص ٣٦]، كذلك جاءت "authority" بمعنى الهيمنة والسلطة على شيء والقدرة على السيطرة والتحكّم. [فرهنگ پايه‌ى لانگمن، ص ٢٠]

وفي ما نحن فيه يراد بمرجعية القرآن أنّه الكتاب الذي يُعدّ مصدرًا موثوقًا وحجّةً يُستند إليها في شتّى العلوم، فيرجع إليه العلماء في تحصل المعرفة في مجالات الأهداف والمبادئ وغير ذلك في حقول العلوم المتعدّدة، بالأخصّ العلوم الإنسانية، وتُنتج هذه المرجعية الحصول على النظريات والتوجيهات العلمية مستندةً إلى القرآن الكريم، فيصبح هذا الكتاب السماوي منشأً لتطوّر العلوم وتقدّمها.

الثالث: استخدامات مصطلح مرجعية القرآن العلمية

لمرجعية القرآن العلمية عدّة معانٍ واستخدامات، كلّ واحد منها يشير إلى جانب من جوانب المرجعية وأبعادها، كما أنّه قد يجتمع معنيان أو عدّة معانٍ وتشارك في التأثير بعلم من العلوم. أو يكون لمعنًى من معاني المرجعية حضور في عدّة حقول علمية، ومن استخدامات المصطلح العناوين التالية:

١- المصدرية

المرجعية بهذا المعنى تعني أنّ القرآن الكريم مصدر معتبر، وأنّ عطاءه المعرفي يعدّ حجّةً لعلماء ذاك الحقل المعرفي، فتكون آيات القرآن أدلّةً وبراهين في مسائل ذاك العلم، ومن شواهد ذلك دليلية الكتاب (القرآن) في الفقه؛ لأنّ أدلّة الأحكام في الاستنباط أربعة أحدها القرآن مع السنّة والعقل والإجماع.

٢- المرجعية التقريرية

يُقصد بالمرجعية في هذا المعنى أنّ نتائج العلوم تُعرض على القرآن، فما وافق منها القرآن (أو لم يخالفه) يكون قد أقرّه الكتاب العزيز وأمضاه فيُقبل وإلّا يُرفض. كما يجري هذا المعنى في اعتبار الحديث، إذ روي عن النبي ﷺ أنّه قال: «فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه» [الكليني، الكافي، ج ١، ص ٦٩]. ويمكن تسرية المرجعية بهذا المعنى إلى علوم متعدّدة مثل: علم الاقتصاد وعلم القانون (الحقوق) وعلوم أخرى.

استدلّ بعض المفسرين كالسيّد محمدحسين فضل الله بأحاديث العرض على الكتاب، واستنتجوا التوسعة في هذا المعنى، فعمّموه في كلّ العلوم إذ قالوا: كلّ نتاج علمي ومعرفي يُعرض على القرآن، فما خالف منه القرآن يجب رفضه. [فضل الله، من وحي القرآن، ج ٦، ص ٢٩٣]

٣- المرجعية الحَكميّة

ويُعنى في هذا القسم من المرجعية للقرآن أنّه حَكَمٌ وقاضٍ في فصل النزاع والاختلاف العلمية، وهذا ما أمر الله ﷻ به نبيّه ﷺ إذ قال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٠٥]؛ ولذلك فإنّ القضاة في مقام الحُكم بين الناس وفضّ النزاعات يجب عليهم أن يجعلوا القرآن هو الحَكَم والمرجع لأخذ القرار، ولقد أشار السيّد محمدحسين فضل الله في تفسيره "من وحي القرآن" إلى هذا المعنى لمرجعية كتاب الله العزيز. [فضل الله، من وحي القرآن]

٤- مرجعية المعرفة

يُقصد بمرجعية القرآن في هذا المعنى أنّ طرق المعرفة البشرية لا تنحصر بطريقي الحسّ والعقل، بل إنّ الوحي الإلهي المتمثّل بالقرآن الكريم هو طريق آخر من طرق المعرفة، ويترتّب على ذلك أنّ النظريات العلمية كما تثبت على أساس العقل والتجربة الحسية، كذلك تثبت على أساس آيات القرآن الكريم، فيمكن البرهنة عليها بها. ومن هنا تتبلور النظريات العلمية في العلوم الطبيعية والإنسانية على أساس القرآن. [رضايي اصفهاني، منطق تفسير القرآن]

ومن أمثلة ذلك الاستدلال على وجود الكائنات الحيّة في الكواكب الأخرى بالآية ٢٩ من سورة الشورى، وكذلك الاستدلال على السماوات السبع في علم النجوم، وأيضًا نظريات علمية أخرى في مجال العلوم الإنسانية كلّها تنشأ من خلال دلالة القرآن عليها.

٥- الهيمنة العملية وتدبير الحياة (العودة إلى القرآن)

المرجعية بهذا المعنى تنتج حاكمية القرآن في شتّى شؤون الحياة، أي أنّ مرجعية القرآن في العلوم

المتعدّدة تؤدّي إلى أن يصبح كتاب الله العزيز هو المدير والمسيّر للحياة البشرية، وهذا هو المعنى الذي دعا إليه بعض المصلحين أمثال السيّد جمال الدين الأسدآبادي والسيّد الإمام الخميني والسيّد الإمام الخامنئي تحت عنوان "العودة إلى القرآن" أو هيمنة القرآن وحاكميته في الحياة، وقد تمّت الإشارة إلى ذلك في مبحث سوابق البحث وخلفياته.

والمرجعية بهذا المعنى للقرآن الكريم تجسّدت إلى حدٍّ كبير بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران في مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغير ذلك، وأدّت إلى حصول تغيير محسوس في حياة الناس في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

٦- مرجعية الإجابة

مرجعية القرآن العلمية في هذا الاستخدام يُقصد بها إجابة القرآن على كلّ متطلّبات الحياة البشرية، فيصبح عطاء القرآن المعرفي ونظرياته الأساس في الأخذ بها وتطبيقها في مجالات الحياة المتعدّدة، وتكون الآراء والنظريات القرآنية هي المرجع في القضايا المستحدثة، والمرجعية بمعنى الإجابة وإعطاء الحلول تنطبق على منهج التفسير الموضوعي الذي نظّر له السيّد محمدباقر الصدر والذي عبرّ عنه بالتفسير التوحيدي، ومن نماذج ذلك: في مجال علم السياسة تُعرض مفاهيم الديمقراطية وغيرها على القرآن الكريم بطريقة الاستنطاق؛ بهدف الحصول على رؤية قرآنية في هذه المواضيع، فقد يؤيّدها القرآن أو قد يرفضها أو يقيّدها بشروط، كما في مفهوم أصالة الشعب ومحوريته في اتّخاذ القرار، فيصبها بصيغة الشورى وأمثال ذلك.

وهذا الحقل من مرجعية القرآن الكريم ذكره السيد فضل الله في تفسيره [فضل الله، من وحي القرآن، ج ٦، ص ٢٨٩ و٢٩٠]، وأكّد عليها الإمام الخامنئي في خطاباته.

٧- توجيه العلوم وتصويبها

والمرجعية في هذا الاستخدام يُقصد بها أنّ مبادئ العلوم وأهدافها تستخرج من القرآن فتصبح تحت تأثير القرآن فيوجّهها ويصوّبها.

ومن أمثلة ذلك في العلوم الإنسانية الحديثة كعلم التربية أنّ أهداف التربية ومبادئها وأسبابها وموانعها تؤخذ من القرآن الكريم، ويضاف إليها نتاج التجارب البشرية، وعلى نمط التفسير الموضوعي المتعامل مع عدّة تخصّصات تنتج النظرية القرآنية التي تقدّم إلى الساحة العلمية علمًا جديدًا. وتوجيه العلوم وتصويبها

تمّت الإشارة إليه من قبل الإمام الخامنئي والشيخ مصباح اليزدي تحت عنوان "تطوّر العلوم الإنسانية"، وذلك في لقاء مع الباحثات في الشؤون القرآنية.

٨- المرجعية النمطية

يُقصد بالمرجعية هنا أنّ العلوم تأخذ نمطيتها من القرآن، ومن نماذج ذلك: أخذ نمط التربية والنظام السياسي أو الاقتصادي من القرآن، كما يأخذ الإنسان القدوة والنمط السليم في حياة الفرد والأسرة من القرآن الكريم، وبناءً على هذا المعنى من مرجعية القرآن تنظّم العلوم والثقافة العامّة والحضارة الإسلامية على محورية النمط القرآني.

تمّت الإشارة إلى هذا المعنى من المرجعية من قبل الباحث الدكتور غلام رضا بهروز لك.

٩- المرجعية التبيينية

والمقصود بالمرجعية هنا أنّ القرآن هو المرجع والمصدر في تبيين الأمور وتفصيلها؛ لأنّ القرآن من خلال آياته قد أوضح أنّه هو المعتمد عليه في تبيين القضايا وتفصيلها. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يوسف: ١١١]، وفي ضوء ذلك لو أنّ كلّيّات القرآن وعمومياته احتاجت إلى تفصيل وتوضيح، فسيكون المرجع في ذلك هو القرآن نفسه، وعلى هذه القاعدة ابتنى منهج تفسير القرآن بالقرآن؛ لأنّ القرآن اذا كان تبيانًا لكلّ شيءٍ فمن الأولى أن يكون تبيانًا لنفسه. ومن هنا استشهد السيّد محمدحسين الطباطبائي في مقدّمة تفسير الميزان على منهجه في تفسير القرآن بالقرآن بالآية ٨٩ من سورة النحل آنفة الذكر. [الطباطبائي، الميزان، ج ١، المقدّمة]

١٠- المرجعية الأدبية

مرجعية القرآن في هذا الاستخدام يُقصد بها مصدرية القرآن لقواعد الأدب العربي وتصويبها؛ لأنّ القرآن الكريم هو المعجزة الأدبية التي فاقت ما سواها وتصدّرت القمّة في ضوابط اللغة العربية وأسسها. إذ إنّه من المعلوم أنّ العرب كانت لديهم إنتاجات في الأدب العربي في مجال الشعر والنثر، لكن بعد نزول القرآن أصبحت الصدراة والهمينة لكتاب الله العزيز. ومنه نشأت الكثير من فروع الأدب العربي أمثال: علم البلاغة، وعلمي الصرف والنحو وأمثال ذلك. وعليه فلا بدّ من إقرار القواعد العربية بعد تأييدها من قبل القرآن الكريم.

١١- منبعية العلوم

والمراد بالمرجعية هنا أنّ القرآن هو منشأٌ كثيرٍ من العلوم و أساسها، وفي ضوء تقرير السيّد الطباطبائي في كتاب "القرآن في الإسلام" فإنّ القرآن أنتج بعض العلوم مباشرةً أمثال: التفسير وعلوم القرآن والحديث والتجويد وأمثال ذلك، كما ساهم في تأسيس علوم أخرى بشكل غير مباشر أمثال علوم: الرجال والدراية وأصول الفقه وعلوم أخرى. كما أثّر القرآن في تطوير بعض العلوم وتوسعتها أمثال علوم: الطبّ والنجوم والفلك وغير ذلك، والخلاصة أنّ القرآن هو المنبع والمؤسّس للفئتين الأولى والثانية من العلوم. [الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ص ٩٤ - ٩٧]

١٢- المرجعية الاستنباطية

والمرجعية هنا هي بمعنى أنّ بعض مسائل العلوم قد تمّ استنباطها وتخريجها من القرآن الكريم، والشاهد على ذلك أنّ في الكثير من الأخبار المروية عن أئمّة أهل البيت ﷺ تصريحًا بأنّ مصدر هذه القضيّة هو كتاب الله العزيز كما روي عن الإمام الباقر ﷺ إذ قال: «إذا حدّثتكم بشيءٍ فاسألوني عن كتاب الله» [الكليني، الكافي ، ج ٥، ص ٣٠٠]؛ وبناءً على هذا فإنّ أيّة معلومة أسندها الأئمّة ﷺ أو المفسّرون إلى القرآن منبعها هو كتاب الله الخالد.

١٣- ري عطش العلماء العلمي

يُقصد بهذا المعنى من المرجعية العلمية للقرآن أنّ العلوم البشرية الأرضية لا تستطيع أن تلبّي كلّ حاجات العلماء المعرفية، ولا تقدر أن تروي عطشهم العلمي؛ لأنّ العلوم تتحدّد بحدود كمّيّة وكيفية ومكانية وزمانية، وكلّها ليست مضمونة العصمة، ومعرّضة للخطإ وعدم إصابة الواقع، في حين أنّ القرآن الكريم يأخذ بالإنسانية إلى العلم الإلهي الصافي اللا متناهي، هو كتابٌ فوق الزمان والمكان كما جاء في الأخبار المرويّة.

فقد روي عن المولى أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ﷺ قوله: «جعله الله ريًّا لعطش العلماء» [الفيض الكاشاني، الإنصاف]، وقد أشار الشيخ الفيض الكاشاني إلى هذا المعنى من مرجعية القرآن.

١٤- مرجعية العلاج والشفاء

يستفاد من النصوص القرآنية والروائية أنّ القرآن علاج آلام الناس وشفاءٌ لأمراضهم التي لا علاج لها سوى كتاب الله العزيز. قال الله ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ [سورة الإسراء: ٨٢]، وعن الإمام علي ﷺ: «وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ: وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ، وَالْغَيُّ وَالضَّلَالُ،

فَاسْأَلُوا اللهَ بِهِ» [نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦]. وقد أشار الشيخ الفيض الكاشاني إلى هذا المعنى من مرجعية القرآن الكريم.

١٥- المرجعية الثقافية

ويُقصد بهذا النوع من المرجعية أنّ القرآن يهيّئ الأرضية الثقافية لسائر العلوم؛ لأنّ القرآن له القابلية الشاملة التي تُعدّ الأرضية الداعمة للعلوم المتعدّدة كالسياسية والتربوية والاجتماعية، ويعطيها الاتّجاه الصحيح العامّ والهادف، ويخلق ثقافة العلوم وأهدافها والحضارة الإسلامية الهادفة. والشاهد على ذلك أنّ القرآن في آيات كثيرة يدعو إلى التوحيد، وهذا الأصل القرآني له حضوره المؤثّر في كلّ حقول المعرفة ومجالات العلم، فيجعل حضور الله ﷻ حيًّا وفاعلًا في كلّ جوانب الحياة.

الرابع: النظر ت حول مرجعية القرآن

١- نظرية أبي حامد الغزالي المتوفّى في سنة ٥٠٥هـ تحت عنوان: "المنبع الإلهي للعلوم في القرآن".

للغزالي مصنّفات كثيرة، ومنها كتابا: "إحياء العلوم" و"جواهر القرآن"، وقد ذكر في هذين الكتابين أنّ أحد معاني مرجعية القرآن العلمية أنّ القرآن هو المنبع الأساس للعلوم.

قال في كتابه "إحياء العلوم": «بل الأخبار والآثار تدلّ على أنّ في معاني القرآن متّسعًا لأرباب الفهم، ... وقد قال بعض العلماء: لكلّ آية ستّون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر. وقال آخرون: القرآن يحوى سبعةً وسبعين ألف علم ومئتي علم؛ إذ كلّ كلمةٍ علمٌ، ثمّ يتضاعف ذلك أربعة أضعاف؛ إذ لكلّ كلمةٍ ظاهرٌ وباطنٌ وحدٌّ ومطلعٌ. بالجملة فالعلوم كلّها داخلة في أفعال الله ﷻ وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها. [الغزالي، إحياء العلوم، ج ١، ص ٢٨٩]

وجاء في كتاب "جواهر القرآن"ما معناه أنّ العلوم تنقسم إلى قسمين: علوم ظواهر القرآن، والتي هي (الصدف والقشر) ومنها: اللغة والنحو وعلم القراءات وعلم مخارج الحروف وعلم تفسير الظاهر وأمثال ذلك، والقسم الثاني: علم باطن القرآن وهي (علم اللباب) وهي تضمّ القصص القرآنية فيما يتعلّق بالأنبياء وعلم الكلام وعلم الفقه وعلم أصول الفقه وعلم التوحيد وعلم المعاد والعلم بالصراط المستقيم وعلم طريق السلوك، وهذه هي مجاميع العلم، وكلّها تستخرج من القرآن ومن مراتبه المعرفيه. [الغزالي، جواهر القرآن، الفصل الرابع]

وفي الفصل الخامس من الكتاب أبان كيفية انشعاب العلوم من القرآن وقال: «ولعلّك تقول: إنّ العلوم وراء هذه كثيرة، كعلم الطبّ والنجوم، وهيئة العالم، وهيئة بَدَنِ الحيوان وتشريح أعضائه، وعلم السحر

والطلسمات، وغير ذلك. فاعلم: أنّا إنّما أشرنا إلى العلوم الدينية التي لا بدّ من وجود أصلها في العالم؛ حتّى يتيسّر سلوك طريق الله تعالى والسفر إليه. أمّا هذه العلوم التي أشرت إليها فهي علوم، ولكن لا يتوقّف على معرفتها صلاح المَعاش والمَعاد؛ فلذلك لم نذكرها، ووراء ما عَدَدْتهُ علومٌ أُخرَ يُعلَم تراجمها ولا يخلو العالم عمّن يعرفها، ولا حاجة إلى ذكرها. [الغزالي، جواهر القرآن، الفصل الخامس]

دراسة وتقييم

إذا كان مقصود الغزالي ممّا بيّنه أنّ في القرآن إشارةً عامّةً إلى العلوم، أو أنّ بعض العلوم كالتفسير والتجويد وأمثال ذلك تتبع من القرآن، فهذا أمرٌ صحيح وتؤيّده بعض الآيات القرآنية (مثل الآية ٨٩ من سورة النحل)، وتشهد عليه الحقائق التاريخية التي تخبرنا ببداية العلوم ونشأتها، مثل علم الأدب وعلم التفسير. وأمّا إذا كان قصده أنّ جزئيات العلوم نجدها في القرآن فهذا أمرٌ لا يؤيّده الواقع المحسوس ولا تدلّ عليه الآيات القرآنية. [رضايى اصفهانى، مدخل إلى التفسير العلمي للقرآن، مجالات القرآن والعلوم]

٢- نظرية العودة إلى القرآن للسيّد جمال الدين الأسدآ دي (المتوفّى سنة ١٣١٤هـ)

مع أنّ السيّد جمال الدين الأسدآبادي لم تثبت له مصنّفات في التفسير وشؤون القرآن، ولكنّه بعد رجوعه إلى مصر ولقائه بالشيخ محمد عبده في الأزهر طرح فكرة العودة إلى القرآن، بمعنى: سريان القرآن وتطبيقه في كلّ مجريات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك. وهذه الفكرة أنتجت نشأة التفسير الاجتماعي للقرآن في العصر الحالي، وهي نقطة ازدهار نظرية العودة إلى القرآن التي نظّر لها السيّد جمال الدين.

ومن هذا المنطلق بادر محمد عبده شيخ الأزهر وكبير مفسري مصر آنذاك بتفسير القرآن بصبغة اجتماعية، ففسّر الجزء الثلاثين من القرآن، ونظّر لهيكلية تفسير المنار، واستمرّ هذا لدى المفسّرين الذين جاءوا بعده أمثال: السيّد قطب "في ظلال القرآن" والمودودي في باكستان من خلال تفهيم القرآن، وحتّى في إيران كتب الشيخ مكارم الشيرازي تفسيره "الأمثل"، فصار التفسير الاجتماعي ظاهرةً منتشرةً في العالم الإسلامي.

والأمر المهمّ في نظرية الرجوع إلى القرآن التي طرحها السيّد جمال الدين أنّ أحد معاني مرجعية القرآن العلمية تحقّق، وأصبح القرآن ماثلًا في صميم الحياة في كلّ جوانب حياة المسلمين، وهي الحاجة الماسّة اليوم للعالم الإسلامي.

٣- نظرية الرجوع العلمي إلى القرآن للملّا صدرا (المتوفى سنة ١٠٥٠هـ)

الملّا صدرا (صدر المتألّهين محمد بن إبراهيم قوام الشيرازي المشهور بالملّا صدرا وصدر المتألهين)

أحد فلاسفة الشيعة وله تفسير غير مكتمل للقرآن الكريم، يقول في مقدّمة تفسيره لسورة الواقعة:

«وإنّي كنت سالفًا كثير الاشتغال بالبحث والتكرار، وشديد المراجعة إلى مطالعة كتب الحكماء النظّار، حتّى ظننت أنّي علي شيء. فلمّا انفتحت بصيرتي قليلًا ونظرت إلى حالي، رأيت نفسي – وإن حصّلت شيئًا من أحوال المبدإ وتنزيهه عن صفات الإمكان والحدثان، وشيئًا من أحكام المعاد لنفوس الإنسان – فارغةً من علوم الحقيقة وحقايق العيان، ممّا لا يدرك إلّا بالذوق والوجدان، وهي الواردة في الكتاب والسنّة من معرفة الله وصفاته وأسمائه وكتبه ورسله، ومعرفة النفس وأحوالها من القبر والبعث والحساب والميزان والصراط والجنّة والنار وغير ذلك ممّا لا تعلم حقيقته إلّا بتعليم الله، ولا تنكشف إلّا بنور النبوّة والولاية ... فلمّا أحسست بعجزي وأيقنت أنّي لست على شيء، وقد كنت قنعت عن ضوء النور بظلٍّ وفيءٍ، اشتعلت نفسي لكثرة الاضطرار اشتعالًا قويًّا، والتهب قلبي لشدّة الانضجار التهابًا نوريًّا، فتداركته العناية الأزلية بالرحموت، ونظرت إليه العطوفة الربّانية بشيءٍ من لوامع الملكوت، فأفاض عليّ من بحر الجود شيئًا من أسرار الوجود، وأفادني مظهر الخفيّات ومنوّر المهيّات بعضًا من أسرار الآيات وشواهد البيّنات. فاطّلعت على بعض أسرار التنزيل وحقائق التأويل. فشرعت خيرةً من الله ورسوله في تفسير طائفة من السور والآيات، وقرعت باب رفع الحجب وكشف النقاب عن وجوه البيّنات. فرأيتها بحمد الله كطبقات الجنان مفتّحة الأبواب، فيها وجوه من الحور العين، ينادون أصحاب الكشف واليقين: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ﴾ [الملّا صدرا، تفسير القرآن الكريم، مقدّمة تفسير سورة الواقعة].

وعبارة الملّا صدرا هذه تشير إلى أحد معاني مرجعية القرآن العلمية وهي: ريّ عطش العلماء الذي مرّ ذكره.

٤– نظرية سقي عطش العلماء العلمي للفيض الكاشاني (المتوفّى سنة ١٠٩١ هـ).

الشيخ محمدحسين المعروف بالفيض الكاشاني، من أشهر علماء الحديث والحكمة والعرفان في القرن الحادي عشر الهجري، يقول في كتابه رسالة الإنصاف: «كتبت الكثير من الكتب والرسائل، وقمت بدراسة وتحقيق كثير من القضايا، ولكنّي لم أجد في أحد من هذه العلوم دواءً لدائي ولا ريًّا لعطشي، خفت على نفسي ففرتُ إلى الله ولجأت إليه، حتّى هداني الله عن طريق التأمّل والتعمّق في القرآن والحديث» [الفيض الكاشاني، رسالة الإنصاف بنقل مختصر تفسير نمونه]. وقد أشار الشيخ الفيض من خلال كلامه هذا إلى معنيين من معاني مرجعية القرآن العلمية وهما، الأوّل: أنّ القرآن دواءٌ «وعلاجٌ وشفاء لأمراض الناس» ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ [سورة الإسراء: ٨٢]، والثاني: أنّ القرآن يروي عطش العلماء المعرفي والعلمي. عن مولانا عليٍّ عليه السلام قال: «جعله الله ريًّا لعطش العلماء» [الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة

١٩٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢١].

٥- نظرية مصدرية القرآن للعلوم وتوسعتها للسيّد الطباطبائي (المتوفّى سنة ١٤٠٢ هـ).

يؤكّد السيّد الطباطبائي على هذا الدور في مرجعية القرآن العلمية ويصرّح بأسماء بعض العلوم، وهو يقصد الأعمّ من العلوم الإنسانية والطبيعية.

يقول: «هناك علوم كثيرة في الإسلام ترتبط ارتباطًا وثيقًا ومباشرًا بالقرآن الكريم، بمعنى أنّ موضوع تلك العلوم هو القرآن الكريم نفسه؛ لأنّ القرآن بعد نزوله على قلب النبيّ المصطفى (صلوات الله عليه وعلى آله) اقتضى أن تؤسّس من أجله ولخدمته علوم كثيرة، ثمّ تطوّرت تلك العلوم حتّى أصبح كلّ جزءٍ منها علمًا مستقلًّا بنفسه. يرتبط بعض هذه العلوم بألفاظ وكلمات القرآن الكريم ويرتبط بعضها الآخر بمعاني وحقائق كتاب الله العزيز. ومن تلك العلوم: **علم التجويد**، بمعنى حسن تلاوة القرآن الكريم؛ لأنّه يبحث عن ضوابط النطق بحروف القرآن الكريم وكلماته وأصول وأحكام وكيفيات التعامل مع النصّ القرآني.

وكذلك **علم القراءات** بمعنى تعدّد قراءات القرآن الكريم واختلافها، وهو علمٌ قديم في القراءات السبع أو العشر أو الأربع عشرة أو غير ذلك، ويُبحث عن قرّاءها وتاريخها وأدلّتها» [الطباطبائي، القرآن في الإسلام. ص ١٤٣].

والعلم الآخر الذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالقرآن الكريم، والقرآن هو السبب في تأسيسه، هو: **علم رسم الخطّ القرآني**، وهو: علمٌ يتكلّم عن قواعد الخطّ العربي بشكلٍ عامٍّ وضوابط خطّ القرآن بشكلٍ خاصٍّ، كما يبحث عن أنواع رسم الخطّ القرآني من الخطّ الكوفي والنسخ وأمثاله.

والعلم الآخر الذي يصنَّف في هذا القسم ما يُعرف بـ "**علوم القرآن**"، وهي عدّة علوم ترتبط بالقرآن الكريم، بمعنى أنّها علوم حول القرآن الكريم، وهذه العلوم في بداية تأسيسها كانت مسائل لعلم واحد يُعرف بهذا الاسم، ثمّ بمرور الزمان توسّعت مباحث هذه العلوم وتطوّرت بحيث أصبحت عدّة علوم: كعلم المحكم والمتشابه، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم الإعجاز، وعلم صيانة القرآن من التحريف، وغير ذلك من علومٍ تحوم حول القرآن الكريم وتجري في فلكه أوجدت لخدمته. نعم، لا يخفى أنّ علوم: التجويد والقراءات ورسم الخطّ القرآني هي باعتبار تُعدّ من علوم القرآن بمعناه العامّ.

وهناك علوم أخرى نشأت من خلال معارف القرآن الكريم، بمعنى أنّها هي معارف القرآن الكريم كلّه أو بعضه، كعلم التفسير، وعلم فقه القرآن، والقسم من علم الكلام الذي ترشد إليه نصوص القرآن الكريم، كذلك مثله ما يرتبط بقصص الأنبياء عليهم السلام وما جرى على الأمم السابقة بالنسبة لعلم التاريخ.

ولارتباط القرآن الكريم بالسنّة المطهّرة ودور الأخبار المرويّة في تفسيره ومنهج التفسير الروائي، كانت

علوم الحديث من العلوم المرتبطة بالقرآن الكريم.

والعلوم التي نشأت من أجل الفهم الصحيح للقرآن وقراءته لصحيحة أيضًا كثيرة، كعلوم الأدب العربي أمثال: النحو والصرف والاشتقاق والمعاني واللغة والوجوه والنظائر [الصدر، حسن، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام]، وهذه العلوم لها دورٌ إيجابي أيضًا على الأدبين الفارسي والتركي. [ولايتى، على اكبر، پويايى فرهنگ و تمدن اسلام و ايران، ص ٣٢١]

تكملة

إضافةً إلى الأدوار المذكورة للقرآن في العلوم التي عدّدها السيّد الطباطبائي وغيره، يوجد اليوم في الوقت الراهن اهتمام أساسي بدور القرآن في تطوير العلوم وتقدّمها، وخلق نظريات علمية جديدة على ضوء تعاليم كتاب الله العزيز.

٦- نظرية السيد محمدحسين فضل الله (المولود عام ١٣٥٤ هـ)

السيّد محمدحسين فضل الله من العلماء والمفسرين وأصحاب الآراء الخلّاقة، ومن أهل الفكر الثوري في لبنان. ويُعد السيّد فضل الله من المنظّرين الأساسيين لمرجعية القرآن في حياة الأمّة الإسلامية. يقول في هذا الصدد: «الله مرجع الإنسان الدائم: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ﴾ فهو الذي يملك الحكم الذي يفصل بين الناس، فهو مبدع الحقّ، ومشرّعه، ومحرّك الوجود على أساسه، والمهيمن على الوجود، والمرجع الأوّل والأخير فيه. وفي ضوء ذلك قد نستوحي كيف ينبغي لنا أن نرجع إلى قوله عندما تختلف أقوالنا وآراؤنا، وأن نرجع إلى نهجه في التشريع والحياة عندما يختلف الناس في شرائعهم وتقاليدهم وعاداتهم، وأن ننهي حوارنا مع الآخرين بعد استنفاد كلّ وسائل الإقناع بإرجاع الأمر إلى الله الذي يحكم بيننا وبينهم يوم القيامة. فهذا هو خطّ الإيمان الذي يتحرّك منه المؤمن مع الله في كلّ أموره وقضاياه، ويكون الله كلّ شيء في حياته، منه البداية وإليه النهاية، ومن خلاله يتحدّد خطّ السير، فليس هناك إلّا الله في الفكر والمنهج والحركة والاتّجاه والانتماء والعلاقات. [فضل الله، من وحي القرآن، ج ٢٠، ص ١٥١ و١٥٢]

ويرى السيّد فضل الله الشاهد التطبيقي لمرجعية القرآن العلمية في الآية ٦٥ من سورة النساء وهي قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ حيث يقول في تفسيرها: «ويعود القرآن - من جديد - ليحدّد للمؤمنين الحدّ الفاصل بين الإيمان وعدمه، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ بكلمة الإيمان التي يقولونها، أو بمظاهره وشعائره التي يحملونها، بل لا بدّ من الموقف الصعب الحاسم الذي يضع الأمور في نصابها الصحيح: ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

بَيْنَهُمْ﴾؛ فإذا اختلفوا في أيّ قضيّة من قضايا الحياة، وتعدّدت الآراء التي يدلي بها هذا الفريق أو ذاك، فإنّ علامة إيمانهم أن يجعلوك الحاكم في ما يأخذون أو يدعون، وذلك من خلال صفتك الرسالية، ليكون رجوعهم إليك وتحكيمهم لك رجوعًا إلى الرسالة وتحكيمًا لها في جميع أمورهم التي يختلفون فيها. فإنّ معنى ذلك أنّهم لا يجدون لأنفسهم الحقّ في الاستقلال في رأي ما، بعيدًا عن الرسول والرسالة، ولا يتطلّعون في جميع قضاياهم الحياتية إلى أيّ شخص آخر، أو أيّ فكر آخر، وذلك هو معنى الإيمان الذي يلتزم بالقاعدة ولا يلتزم بأيّة قاعدة غيرها. فإذا حكمت بينهم بأمرٍ، ممّا يلتقي برغباتهم الذاتية أو ممّا لا يلتقي بها، فإنّهم سيرتفعون – عند ذلك – عن الخضوع لمشاعرهم الخاصّة، فلا يقومون بأيّ عمل سلبي ضدّ هذا الحكم، ولا يتعقّدون في داخلهم من أجله، بل يتقبّلونه برحابة صدر ورضا نفس، ويستسلمون لحكم الله في دعةٍ واطمئنان؛ لأنّه يملك منهم ما لا يملكونه من أنفسهم. وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِى أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [فضل الله، من وحي القرآن، ج ٧، ص ٣٤٢].

وفي ضوء هذا المعنى لمرجعية القرآن يتّضح أنّه قد نستوحي من هذه الآية أنّ من علامات إيمان المؤمن أن يقف أمام المراحل الصعبة التي يقطعها في مجالات الجهاد والدعوة إلى الإسلام، ليحدّد موقفه من خلال حاجة المرحلة؛ فقد تفرض عليه أن يكبت انفعالاته ويجمّد حماسه عندما تقتضي مصلحة الإسلام ذلك؛ وقد تفرض عليه أن يتقدّم في بعض المواقف ويقف في بعضها الآخر، فلا يخضع لهوى نفسه ولرغبة مزاجه، بل يجعل الإسلام نصب عينيه من خلال ما يفرضه عليه حكم الله ليسير على هدى ذلك، باعتبار أنّه الحكم العدل الذي لا ينحرف ولا يزيغ.

إجابة القرآن لكلّ حاجات البشرية وفي كلّ زمان

ويقول السيّد فضل الله عند بيان منهج أهل البيت ﷺ لفهم القرآن: «في منهج أهل البيت ﷺ تأكيد بطريقة مركّزة ومتحرّكة لأن يفهم الناس القرآن؛ لأنّ في القرآن – كما ورد في حديثهم ﷺ – تبيانًا لكلّ ما يحتاجه الناس، فقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق ﷺ: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل في كتاب الله ﷻ، ولكن لا تبلغه عقول الرجال» [الكليني، الكافي، ج ١، ص ٦٠].

يقول: «وهذه الكلمة توحي بأنّ على العلماء أن يدقّقوا في فهمهم للقرآن، بحيث يستوحون عمقه وامتداده، ولا يتجمّدون عند حروفه وكلماته؛ لأنّ اللغة العربية في قواعدها قد تقف بالإنسان على المعنى الحرفي للكلمة، ولكنّها لا تنفتح على الإنسان بالآفاق الواسعة لها، بحيث تكون القصّة في موقع معيّن، ولكنّها تجتذب آلاف القصص المماثلة في حركة الإنسان في التاريخ، وقد تنزل الآية على جماعة، ولكنّها تمتدّ إلى الجماعات كلّهم في واقع الإنسان في العالم» [فضل الله، من وحي القرآن، ج ٦، ص ٢٨٩

و٢٩٠].

وفي ضوء كلّ ما تقدّم فإنّ السيّد فضل الله قد أكّد ثلاثة معاني من مرجعية القرآن الكريم وهي: المرجعية الحَكَمية، ومرجعية التقرير ومرجعية الإجابة على حاجات البشرية.

٧- نظرية العودة إلى القرآن للإمام الخميني (المتوفّى سنة ١٤١٠هـ)

يرى السيّد الإمام الخميني مفجّر الثورة الاسلامية أنّ مرجعية القرآن العلمية هي بالعودة إلى القرآن وتحكيم معارف القرآن وأحكامه في الحياة، وبهذه النظرية المتطوّرة استطاع أن يؤسّس لحكومة على أساس الإسلام.

يشير السيّد الإمام إلى دور القرآن في كلّ شؤون الحياة حيث يقول:

«إذن فالإسلام مظلوم اليوم، وإنّ أحكام القرآن مهجورة، حيث لا تعلمون بمعظم الأحكام السياسية للإسلام رغم أنّكم تقيمون الأذان وتؤدّون الصلاة. علمًا أنّ قراءة القرآن وحضوره في جميع شؤون حياة الإنسان من الأمور اللازمة ... فإذا عملتم بهذه الأحكام السامية، فإنّكم تسودون العالم، غير أنّنا هجرنا القرآن ولم نعر اهتمامًا لهذه الأحكام. ولا يكفي مجرّد تلاوة القرآن والذكر رغم أنّ ذلك أمر مطلوب، ولكن ليس من الصحيح الالتزام ببعض وترك بعض آخر» [الإمام الخميني، صحيفة النور، ج ٢٠].

ويقول تحت عنوان: ضرورة حضور القرآن في جميع شؤون الحياة: «ولكنّ المشكلة العظمى التي نعاني منها كمسلمين هي: هجرنا القرآن، وابتعادنا عنه، وسيرنا خلف لواء الآخرين، ولو أنّ المسلمين جميعًا عملوا بمضمون هذه الآية فقط ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣] لحُلّت جميع مشاكلهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية دون الحاجة للآخرين في حلّها» [الإمام الخميني، صحيفة النور، ج ١٦].

إنّ الرجوع إلى القرآن في فكر الإمام الخميني هو الرجوع إلى الحكومة القرآنية والشاهد على ذلك قوله: «نحن نهضنا وقمنا بالثورة الإسلامية كلّ ذلك من أجل أن يحكمنا الإسلام وتحكمنا قوانين الإسلام وأحكام القرآن الكريم. وحتّى لا يستطيع أيّ قانون أن يجعل نفسه بديلًا عن قوانين القرآن. [الإمام الخميني، صحيفة النور]

والسيّد الإمام الخميني الفقيه والفيلسوف ورجل السياسة الكبير الذي كانت حياته مزدهرةً بالعلم والعمل الصالح يقول عن دور القرآن في الحياة: «أقولها جدًّا لا من باب المجاملة، إنّي آسفٌ على عمري الضائع لماذا لم أصرفه في القرآن» [الإمام الخميني، صحيفة النور].

وكلّ هذا الذي رويناه عن السيّد الإمام الخميني يدلّ على إيمان السيّد بمرجعية القرآن في شتّى شؤون

الحياة.

٨- نظرية العودة إلى القرآن وصياغة العلوم الإنسانية على أساسه للسيّد الإمام الخامنئي

قد دعا الإمام القائد السيّد الخامنئي إلى العودة إلى القرآن في مناسبات متعدّدة، ومن خلال خطاباته ونداءاته التي كتبها وخطبها لمناسبات قرآنية في البلد، ومن الشواهد على ذلك أقواله التالية:

«إنّ العودة إلى القرآن، هي عودة إلى الحياة التي تليق بالإنسان، وهي المهمّة الملقاة على عاتق المؤمنين بالقرآن، وفي طليعتهم العارفون به، والعلماء والمبلّغون الدينيون. وإنّ العودة إلى القرآن، شعار لو يطرح بشكل حقيقي وجدّي، لاستطاع أن يقدّم الفارق بين الحقّ والباطل. كما يجب أن لا تتحمّل الشعوب الإسلامية وجود تلك القوى التي لا تريد أن تقبل مسألة العودة إلى القرآن ... إنّنا بعد أن ابتُلينا بالبعد عن القرآن وأُصبنا بآثار التآمر ضدّ القرآن من قبل الأعداء العالميين، قد ذقنا طعم العودة إلى القرآن. وإنّ انتصار الثورة الإسلامية، وإقامة نظام الجمهورية الإسلامية ليعدّان من الآثار المباركة الكبرى لهذه العودة» [khamenei.ir].

ويقول أيضًا: «إنّنا نجد الفلسفات والأيديولوجيات المادّية المتنوّعة قد وصلت إلى طرق مسدودة، وذلك على الصعيد الذهني والعملي، فعجزت بالتالي عن اجتذاب القوى الإنسانية وتعبئتها. والدور الآن للحاكمية القرآنية، لتقوم بسدّ الفراغ الموجود في الأذهان والأعمال الإنسانية، وتبشّر بتحقّق الوعد القرآني: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾. وعليكم أن تواصلوا ممارساتكم حول محور القرآن من مجالات المعرفة إلى ساحات العمل، ومن القراءة إلى التفسير، ومن القبول الذهني إلى التحقّق الخارجي. احملوا شعار العودة إلى القرآن إلى أقطاركم، وانشروه بين شعوبكم، وشجّعوهم وقرّبوهم من تحقيق هذا الشعار. وإنّي لآمل أن تعينكم وتهديكم روح القرآن وباطنه في هذا المسعى المبارك» [https://alwelayah.net].

ويقول أيضًا: «إنّ القرآن وهو النور والهدى والفرقان بين الحقّ والباطل، والحياة والميزان والشفاء، والذكر لا تتمّ له هذه الخصال بشكل عملي إلّا إذا تمّ قبل كلّ شيء استيعابه فهمًا وتطبيقه عملًا. لقد كان القرآن في عصر الحكم الإسلامي في الصدر الأوّل، هو القول الفصل والكلمة الأخيرة، وحتّى كلام الرسول ﷺ فإنّه يجب أن يعرض عليه. وكان حملة القرآن يتمتّعون بالاعتبار الواقعي في المجتمع بعد أن كان الرسول ﷺ قد أعطى الأمة التعليم القائل: «**أشراف أمّتي أصحاب الليل وحملة القرآن**». لقد كان استيعاب القرآن علمًا وعملًا يشكّل قيمةً واقعيةً، فللإجابة على كلّ مشكلة حياتية يجب الرجوع للقرآن. ولقد كان القرآن ملاك قبول أيّ حديث أو أسلوب أو مدّعًى، ومعياره. كان عليهم أن يعرفوا الحقّ والباطل من وجهة نظر القرآن ليشخّصوا نماذجهما ومصاديقهما في ميدان الحياة».

ولقد أكّد السيّد الإمام الخامنئي في مناسبات متعدّدة ضرورة التطوّر في العلوم الانسانية، وأبان أنّ المنهج الأساس في تحقيق ذلك هو الاستفادة من القرآن في مبادئ هذه العلوم، ويشير السيّد دام‌ظله إلى أنّ المشكلة الأمّ عند الشرقيين أنّ العلوم الإنسانية قد أخذت من الغربيين، وقد ابتنت هذه العلوم على العلمانية المادّيّة. وقال في هذا الصدد: «إنّ أساس العلوم الإنسانية الغربية التي يتمّ تدريسها في جامعات البلاد بشكل مترجَم، هو النظرة المادّية التي تتعارض مع الأسس القرآنية والدينية، في حين أنّه ينبغي البحث عن أساس العلوم الإنسانية في القرآن ... وأحد الأمور المهمّة والرئيسة في الأبحاث القرآنية استخراج أسس العلوم الإنسانية، مؤكّدًا: لو تمّ هذا الأمر فإنّ الباحثين سيتمكّنون من تأسيس صرح رفيع ومتين من العلوم الإنسانية من خلال الاستفادة من الأسس القرآنية، وكذلك الاستفادة من بعض التقدّم في العلوم الإنسانية. [لقاء السيد مع الأساتذة الجامعيين]

وفي ضوء ذلك فإنّ الاستفادة من نظريات الآخرين في نظر السيّد الإمام الخامنئي يتوقّف على أن تتمّ دراسات في هذه القضايا من خلال القرآن الكريم.

وفي ضوء ما مرّ فإنّ السيّد الخامنئي يثبت عدّة معانٍ لمرجعية القرآن العلمية، ومنها: العودة إلى القرآن، أي الحاكمية العملية لكتاب الله العزيز في جوانب الحياة الكثيرة، ومنها: إجابة القرآن لكلّ حاجات البشرية، ومنها: توجيه القرآن وتصويبه لكلّ العلوم لا سيّما العلوم الإنسانية.

٩- نظرية الشيخ جوادي آملي

الشيخ عبد الله جوادي آملي المفسّر المعاصر هو أحد الدعاة لمرجعية القرآن في العصر الحالي، وقد أبان ذلك في عدّة آثار له. ومن آرائه في ذلك:

«مرجعية القرآن وأصل وأساس الرجوع إليه في كلّ جوانب الحياة الفردية والاجتماعية - مع غضّ النظر عن مساحة ذلك ومجالاته - أمرٌ مسلّمٌ وثابتٌ بضرورة الدين، وتدلّ عليه آيات القرآن وتعاليم النبي ﷺ والعترة الطاهرة عليهم‌السلام. ومن الآيات الدالّة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [سورة الإسراء: ٩]، والآية تدلّ على أنّ القرآن يهدي للطريقة والنهج الذي هو أتقن وأقوم المناهج، ويترتّب على ذلك أنّ القرآن الكريم سواءٌ في الحكمة العملية أو في الحكمة النظرية هو المرجع والأساس. وأيضًا الآية المباركة: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٠] تدلّ على هذا المعنى، وتعبير الآية (التمسّك بالكتاب) بإطلاقه يشمل التمسّك العملي والتمسّك النظري معًا» [جوادي آملي، التسنيم، ج ٣٠، ص ٦٠٢]، وأيضًا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ يثبت هذا المدّعى؛ لأنّ القرآن هو مصداق البرهان والنور، وخصوصية النور

أنّه مضيءٌ ويضيء لغيره، ونورانية القرآن تشمل ساحتي العلم والعمل معًا.

وكذلك الآية المباركة ١٧٦ من سورة البقرة تؤكّد مرجعية القرآن العلمية يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾، وأصل الاختلاف في الرؤى وإن كان يهيّئ الأرضية المناسبة لتطوّر العلوم، ولكنّ الآية تدلّ على أنّ الآراء المختلفة يجب أن تُعرض على الميزان والفرقان الإلهي؛ ليُعرف الصدق من الكذب ويميز الحقّ من الباطل، وقد أنزل الله القرآن لينهي اختلافات الناس الفكرية. [جوادي آملي، التسنيم، ج ٩، ص ٧١]

ويقول أيضًا: «تعدّد الآراء العلمية يمهّد الأرضية للاختلاف، ولكن بالرجوع إلى محكمات القرآن والسنّة المطهّرة يزول هذا الاختلاف. قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة النساء: ٥٩]» [المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٨٨ و٢٨٩].

وهناك الأخبار الكثيرة التي تدلّ على ضرورة الرجوع إلى القرآن والأخذ بمرجعيته في القضايا العلمية والعملية، ومنها أخبار العرض على الكتاب والتي تسجّل هذه الحقيقة، وهي أنّ اعتبار الرويات والأخذ بها أو رفضها يتوقّف على موقف القرآن منها. [جوادي آملي، التسنيم، ج ١، ص ٦٩]

إنّ القرآن الكريم كما يبيّن العقائد والفقه والحقوق الفردية والاجتماعية فهو يبيّن أيضًا العلوم والتخصّصات الحوزوية والجامعية، مثل: علوم الفلك، والبيئة، ولا يخفى أنّ الاستفادة من القرآن تتوقّف على شروط ومقدّمات لا بدّ من تحقّقها قبل ذلك ... والعلوم الحوزوية إن لم تكن مرتبطةً بالقرآن فهي لا تحلّ مشكلةً من مشاكل الحياة، كمن يعرف صناعة أنواع السيوف ولكنّه لا يحسن القتال.

ومن خلال عبارات الشيخ جوادي آملي هذه وغيرها يكون الشيخ قد أشار إلى عدّة معانٍ من معاني مرجعية القرآن العلمية وتبيين مجالات متعدّدة لهذه المرجعية.

١٠- مرجعية القرآن العلمية في تطوير العلوم الإنسانية

في المجلّد الأوّل من منشورات المؤتمر الدولي للقرآن والعلوم الإنسانية كتب الشيخ الدكتور محمدعلي رضائي أصفهاني بحثًا تحت عنوان "مرجعية القرآن في العلوم الانسانية" يقول فيه: «المقصود من مرجعية القرآن العلمية هنا، أنّ القرآن هو المصدر الموثوق والحجّة في كلّ العلوم ويستطيع العلماء أن يؤسّسوا لمبادئ العلوم وأهدافها، ولا سيّما في العلوم الإنسانية، ويترتّب على ذلك توجيه العلوم وتصويبها وخلق النظريات العلمية الرصينة في ضوء تعاليم القرآن، فيصبح القرآن منشأً لتطوّر العلوم وتقدّمها» [رضائي أصفهاني، منهجية دراسات القرآن والعلوم الانسانية، منشورات المؤتمر، ج ١، ص ٤].

النتائج

لقد اهتمّ العلماء المسلمون في القرن الأخير بمرجعية القرآن العلمية، والتي نجد جذورها في القرآن الكريم وأخبار السنّة المطهرة. كما لا يخفى أنّ بعض الباحثين القدامى أمثال: الغزالي والملّا صدرا والفيض الكاشاني قد أوضحوا بعض معانيها، وفي المئة سنة الأخيرة تمّ التنظير لها وجرى تأكيدها من قبل كثير من العلماء أمثال: السيد جمال الدين الأسدآبادي والسيّد محمدحسين الطباطبائي والسيّد محمدحسين فضل الله والسيّد الإمام الخميني والسيّد الإمام الخامنئي والشيخ جوادي آملي.

وفي هذه الدراسة تمّت الإشارة إلى خمسة عشر مفهومًا واستخدامًا لمرجعية القرآن العلمية والتي جاء أكثرها على لسان العلماء الألى مرّت أسماؤهم. ومن بين هؤلاء العلماء فسّر الإمام الخامنئي مرجعية القرآن العلمية بمعنى الرجوع إلى القرآن وجعله حاكمًا في مجريات الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية وشائر شؤون الحياة، كما بيّن مستخرجات أخرى لهذا المصطلح.

قائمة المصادر

١- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار الأحوال التراث العربي، ١٤١٦.

٢- انوری، حسن، فرهنگ بزرگ سخن، انتشارات سخن، ١٣٨١.

٣- البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن، تهران، بنياد بعثت، ١٤١٦.

٤- بیانات مقام معظم رهبری در دیدار با اساتید دانشگاه، ١٣٨٨/٢/٢٧، سایت دفتر رهبری.

٥- بیانات مقام معظم رهبری در دیدار با اساتید دانشگاه، ١٣٨٨/٦/٨، سایت دفتر رهبری.

٦- بیانات مقام معظم رهبری در دیدار با اساتید دانشگاه، ١٣٨٢/٨/٨، سایت دفتر رهبری.

٧- بیانات مقام معظم رهبری در دیدار با بانوان قرآن پژوه، ١٣٨٨/٧/٢٨، سایت دفتر رهبری.

٨- بیانات مقام معظم رهبری در اولین کنگره‌ی قرآن و علوم انسانی، ١٣٩٦/٣/١، سایت دفتر رهبری.

٩- بیانات مقام معظم رهبری در دیدار با قاریان و حافظان ١٣٩٠/٥/١١، سایت دفتر رهبری.

١٠- بیانات مقام معظم رهبری در مراسم اختتامیه‌ی مسابقات حفظ، ١٣٧٩/٨/٩، سایت دفتر رهبری.

١١- بیانات آیت الله جوادی آملی در دیدار اعضای نشست مرجعیت قرآن و علم اصول در علوم انسانی، ١٣٩٥/١٠/١٥.

١٢- پارسانیا، حمید، جهان های اجتماعی، انتشارات کتاب فردا، ١٣٩٢.

١٣- جوادی آملی، عبدالله، تفسیر تسنیم، قم، اسراء، ١٣٨٦.

١٤- جوادی آملی، عبدالله، حکمت عبادت، اسراء، ١٣٩١.

١٥- جوادی آملی، عبدالله، وحی و نبوت در قرآن، اسراء، ١٣٧٩.

١٦- الرضي، أبو الحسن، نهج البلاغة، ترجمه سیدجعفر شهیدی، انتشارات علمی، ١٣٦٨.

١٧- زرین کوب، عبدالحسین، کارنامه‌ی اسلام، انتشارات امیر کبیر، ١٣٨٦.

١٨- السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، کتابخانه‌ی مرعشی نجفی، ١٤٠١.

١٩- صدر المتألهين، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، انتشارات بیدار، ١٣٦٦.

٢٠- الصدر، حسن، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ترجمه‌ی امیر هوشنگ دانایی، نشر بین الملل،

.١٣٨٨

٢١- الطباطبائي، محمدحسين، القرآن في الإسلام، بنياد اسلامى، ١٣٦١.

٢٢- العروسي الحويزي، عبد الأعلى، تفسير نور الثقلين، انتشارات اسماعيليان، ١٤١٥.

٢٣- العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، المطبعة العلمية، ١٣٨٠.

٢٤- الغزالي، أبو حامد محمد، جواهر القرآن، بنياد علوم اسلامى، ١٣٦٥.

٢٥- الغزالي، أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، ١٤١٤.

٢٦- فرهنگ اكسفورد، ترجمه‌ی اكبر ايران بناه، انتشارات آذران، ١٣٩٥.

٢٧- فرهنگ بايه‌ی لانگمن، انتشارات جنگل.

٢٨- فضل الله، محمدحسين، من وحي القرآن، دار الملاك، ١٤١٩.

٢٩- الفيض الكاشاني، محسن، رسالة الإنصاف، انتشارات بی زمان، ١٣٩٢.

٣٠- الفيض الكاشاني، محسن، الصافي في تفسير القرآن، مؤسسة الهادي، ١٤١٦.

٣١- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٥.

٣٢- لي، آلدوميه، علوم اسلامى و نقش آن در تحول علمى جهان، ترجمه‌ی شجاع رضوی، علوی، بنياد پژوهش های اسلامى آستان قدس رضوی، ١٣٧٢.

٣٣- المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣.

٣٤- الموسوی الخميني، روح الله، صحيفه‌ی انقلاب، دفتر حوزه، ١٣٧٨.

٣٥- ولايتی، علی اكبر، پويايی فرهنگ و تمدن اسلام و ايران، وزارت امور خارجه، ١٣٨٤.

٣٦- مجموعه‌ی آثار علامه‌ی حسينی طهرانی، مركز نور، انتشارات علامه‌ی طباطبايی، ١٣٩٥.

٣٧- رضايی اصفهانی، محمدعلی، مرجعيت علمی قرآن.

٣٨- روش شناسي مطالعات ميان رشته‌ای قرآن و علوم انسانی، نشر المصطفى، ١٣٩٦.

٣٩- علی اسلامی، مرجعيت علمی قرآن از ديدگاه آيت الله جوادی آملی، مدبر.

٤٠- مرجعيت علمی قرآن و گستره‌ی آن در انديشه‌ی علامه‌ی فضل الله، فرج الله مير عرب، مجله‌ی مطالعات علوم قرآن، ش ١، ١٣٩٨.